وكان العمل الثوري احيانا متهورا منعزلا بشكل نسبي وبالتالي سهل القمع . بكلمات اخرى ، كانت الموارد والطاقة التي استخدمت بشكل متقطع غير فعالة كثيرا . بيد أن ظهور استراتيجية فلسطينية يقوم الآن بتغيير طبيعة النزاع . وتتطور بنية تحتية من التنظيم والقيادة والاتصال ، وعلى الرغم من أن هذه البنية لا تزال مفتتة ، الا أن بامكانها تجميع الطاقة والموارد وتسييرها الى أعمال محسوبة مرسومة . هكذا يصبح الفلسطينيون اول مرة منذ العام ١٩٤٨ أطرافا فعالة في الصراع العربي — الاسرائيلي ويشكلون تهديدا خطيرا لاسرائيل .

ما هي طبيعة الاستراتيجية الفلسطينية النامية ؟ على الرغم من أن صورة هذه الاستراتيجية لا تزال غائمة ، الا اننا نستطيع ان نكشف عن بعض ملامحها بتفحص بعض عوامل تطورها .

التعبئة : ربما كان الوجه الاساسي للاستراتيجية الثورية الفلسطينية هو التعبئة السريعة للفلسطينيين منذ العام ١٩٦٧ . غير أن ذلك ليس عفويا ، بل هو نتيجة الوضع الفلسطيني قبل الحرب . فلماذا ، اذا ، لم يعبأ الفلسطينيون في العام ١٩٥٦ او العام ١٩٦٦ ؟

تعتمد التعبئة الى حد كبير على وجود أوضاع تسمح للفرد أن يفسر الواقع بطرق جديدة ويقوم بأشكال جديدة من النشاط الاجتماعي . ويمكن اعتبار هذه القدرة التحرير النفسي (السيكولوجي) للفرد ، وهي عملية مرتبطة بتطور الاعتناق بالمعنى الذي يستخدم به دانيال ليرنر هذا المصطلح(٢) . وهذه العملية شبيهة الى هذا الحد بعملية التحديث . لكن التعبئة تتطلب أيضا أن يسعى الناس بنشاط الى تغيير العالم ليتفق مع رؤاهم الجديدة للحقيقة ولما هو مرغوب . وقد زودنا بحاثة مختلفون في العلوم الاجتماعية بمفاتيح تعين على فهم العملية التي يصبح الناس عبرها محررين ومن ثم نشطين .

يرى كارل دويتش(٣) ان مفتاح التعبئة هو في تفتت المعايير والعلاقات القديمة . ويقدم ايفريت هاجن تفسيرا محتملا لهذا التحلل ، عندما يلاحظ ان المرء يصبح مستلبا من المعايير الاجتماعية اذا انحسر الاحترام الذي يشعر انه أهل له(٤) . ويقترح جابرييل الموند وسيدني فيربا وجود شعور بالجدارة الشخصية والمشاركة السياسية في أي علاقة ايجابية ، مما يعني ضمنا أن الاستلاب لا يؤدي الى العمل دون وجود بعض الشعور بالجدارة(٥) . وقد اعطانا دافيد ماكليلاند مفتاحا يعين على فهم الصلة التي يشعر أنها تتحدد بعملية تأهيل الطفل للمجتمع(٦) . فاذا وضعنا ما سبق بعضه الى بعض ، يمكننا أن نوجز نظرية على النحو التالي : عندما ينحسر احترام منزلة ناس معينين فانهم يستلبون من المعايير الاجتماعية . ويصبح ذلك اكثر سهولة اذا تغيرت نماذج تأهيل الطفل للمجتمع . واذا حاز الناس المعنيون عبر التأهيل للمجتمع على شعور بالجدارة ، فلربما يعملون على معالجة وضعهم دون أن تقيدهم المعايير الاجتماعية عدا تلك التي انموها بين أنفسهم . بذلك يعمل هؤلاء الناس على تحديث انفسهم ، ويمكن أن يصبحوا قوة تحديث رئيسية في المجتمع الذي يرتبطون به ، اذا منحوا التوجيه والفرص من جانب القيادة او اذا قبلوا ايديولوجية ما .

تزودنا هذه النظرية بتفسير جزئي ، على الاقل ، للتعبئة الفلسطينية . أولا ، لقد عانى الفلسطينيون ، الذين قطنوا فلسطين قبل العام ١٩٤٨ والذين اصبحوا فيما بعد لاجئين ، من فقدان المنزلة التي كانوا معتادين عليها سالفا(٧) . وقد أحدثت الجهود المبذولة لتقديم التربية والتدريب في المخيمات آثارا عميقة على تجارب تأهيل الطفل للمجتمع(٨) . وكان فقدان احترام المنزلة ذاته جزءا كبيرا من محتوى التأهيل للمجتمع . وتضمنت تربية كثير من الفلسطينيين الشباب الدراسة في الولايات المتحدة او اوروبا حيث تعرضوا للافكار الديمقراطية الليبرالية — كالمشاركة الشعبية وتقرير المصير — وللافكار الثورية كافكار ماركس ولينين وماوتسي تونج وهوشي منه وجيفارا وكاسترو الخ. وشهد هؤلاء كذلك